الجمهورية الج ازئرية الديمق ارطية الشعبية

و ازرة التعليم العالي والبحث العلمي

جامعة محمد لمين دباغين سطيف -2-

Mohamed Lamine Debaghine University -Setif 2-

كلية الآداب واللغات

قسم اللغة والأدب العربي

االمطبوعة االعلمية:

السند البيداغوجي لمقياس: النص الأدبي الحديث

مستوى: السداسي الثالث

االدكتور: االسعدي مسايل

السنة الجامعية 2024 - 2025

المحاضرة الأولى:

الإحياء الشعري في المشرق -1-

تمهيد.

1. عوامل النهضة.

2. محمود سامي البارودي وتجربة الإحياء في المشرق. 3. مدرسة الإحياء والبعث.

المحاضرة الأولى:

الإحياء الشعري في المشرق -1-

تمهيد: ساءت الأحوال السياسية قبل العصر الحديث في البلاد العربية خاصة في مصر، وذلك بسبب حكم المماليك والأتراك، وانعكس ذلك سلبا على الأدب شعره ونثره يقول حامد حفني داود: "كان الشعراء قلة وكانوا شعراء شعب لا شعراء بلاط أو ديوان وندر المجودون منهم وانحطّ الذوق الأدبي بسبب انتشار الألفاظ التركية في ثنايا اللّغة العربية ولا سيّما العامية"[1].

لهذه العلل حرص الشعراء على تجويد ألفاظهم وتنميق عباراتهم، حتّى أصبح الشعر عبارة عن حلى لفظية خالية تنعدم فيها القيم الفنية والجمالية واتسم شعر هذه المرحلة بالضعف والتخاذل ممّا دفع بالنقاد إلى تسميتها بالفترة المظلمة التي استمرت قرابة ستة قرون.

غير أنّ بقاء الحال على ما هو عليه أمر مستحيل، فقد انبعث نور غريب على الوطن العربي أنار الأذهان ورفعها إلى مستوى المجاري الفكرية والأدبية وذلك من خلال عملية الاحتكاك التي وقعت في الشرق والغرب ولا سيّما في لبنان ومصر. وقد تكاثفت جملة من العوامل ساهمت في نهضة الأمة العربية من سباتها وبالتالي نهضة الأدب العربي. ومن هذه العوامل نذكر:

1. عوامل النهضة:

1- احتكاك لبنان بالغرب الذي ظهر في القرن السادس عشر، من خلال تشجيع حركة البعثات الأوروبية إلى الشرق وفتح مدارسها الجديدة.

---

[1] حامد حفني داود: تاريخ الأدب الحديث، تطوره معالمه الكبرى ومدارسه، ديوان المطبوعات الجامعية، الجزائر، 1983، ص68.

2- احتكاك مصر بالغرب: فقد شنت فرنسا سنة 1798 بقيادة نابليون بونابرت حملة على مصر، كان لها تأثير إيجابي، لا سيّما وأن هذه الحملة ضمت في صفوفها علماء ومخابر علمية.[1]

3- التعليم: كان التعليم في العصر العثماني ضعيفا وهذا لإرادة السياسيين وبعد مجيء محمد علي حاكما على مصر، بذل جهودا مضنية من أجل تطوير التعليم وكان له ذلك من خلال ارسال البعثات إلى الخارج وفتح المدارس.

4- الطباعة: تأسست أول مطبعة في عام 1834 ببيروت وكان لها الفضل في دفع عجلة النهضة، ثم تلتها مطبعة اليسوعية سنة 1848 وفي مصر اشترى محمد علي مطبعة بولاق الشهيرة، وكلّها ساهمت في بعث التراث العربي واعادة طبعه.

5- الصحافة: كان لتأسيس الطباعة فضل في ظهور الصحافة، وكانت مصر هي المهد الأول للصحافة العربية، وقد أنشأت سنة 1828 أول جريدة "الوقائع المصرية" وتلتها بعد ذلك مجموعة من الجرائد، كان لها تأثير في الفكر واللّغة والأدب.

إضافة إلى عوامل أخرى، يمكن اختصارها فيما يأتي:

- المجامع العلمية والأدبية.
- المكتبات.
- الترجمة والتأليف.
- المسرح التمثيلي.
- الاستشراق.

كل هذه العوامل مجتمعة، ساهمت في بعثة الأدب العربي الحديث، فانبرى مجموعة من الشعراء حملوا على عاتقهم بعث الشعر العربي.

[1] ينظر، حنا الفاخوري: تاريخ الأدب العربي، المطبعة البوليسية، مصر، ط11، 1981، ص911 وما بعدها.

2. محمود سامي البارودي وتجربة الإحياء في المشرق:

يعدّ محمود سامي البارودي(*) من أهم الرواد الذين أعادوا إلى الشعر الأصيل نبضه الحقيقي، كما يعدّ رائد مدرسة الإحياء والبعث، وباعث النهضة الأدبية في العصر الحديث، ويقصد بمدرسة الإحياء هي المدرسة التي عادت لها الروح والحياة بعد أن فارقتها، فبعثت إلى الدنيا من جديد بقلب نابض وحسّ واع، وهذا ما حدث فعلا بالنسبة للشعر العربي فقد عاش الشعر حالة من الجمود، وذلك منذ وقوع بغداد سنة 1258 في أيدي الغزاة من أمثال (هولاكو) الذي قضى على الخلافة العبّاسية وحرق المكتبات وهدم دور العلم. فانطفأ بريق الشعر العربي ودخل في مرحلة سبات قاربت الستة قرون، إلى أن جاءت حملة نابليون علم 1798 فانتفض الشعر العربي، وكان البارودي زعيم هذه الثورة. فقد بعث الشعر العربي مقتفيا أثار الفحول القدامى من أمثال: عنترة بن شداد والبحتري وأبو تمام والمتنبي وغيرهم.

فقد أعلن صراحة أنّه يتكلّم كالماضين من الشعراء قبله، وطالب أن لا ينتقده غافل، لأنّه يحاول أن يبعث الشعر بعثا جديدا، ويعيد إليه أساليبه في العصور الأولى، وانطلق يصوغ الشعر وفق الأغراض التقليدية التي كانت سائدة في الشعر العربي القديم فعلى سبيل المثال فقد قال في الأغراض الآتية ما يأتي:

1- الفخر والحماسة: لقد كان البارودي فخورا بنفسه التي وصفها بالمغامرة والشجاعة والباسلة، لأنّه شهد الحروب وأبلي فيها بلا "ء حس"نا، شأنه في ذلك شأن الفرسان البواسل الذين خلدّوا ملاحمهم البطولية في أشعارهم يقول(1):

وأهبن في أرض يحار بها القطا ** وترهبها الـ .جنَّان وهي سَوا.ر ح

يَعبَلَة أ°قطَا.ر الدَّياميم لـو عدَا ** " سلَ°ي ك" بها شأوا قضى وهو ارز ح

تصيح به الأصداء في غسق الدّجى ** صياح الثّكالى هيّجتها النّوائ ح

ت ارنا بها كالأسد نر صـ د غـارة" ** يطي ر بها فت ق من الصُّبح لام ح

(*) محمود سامي البارودي شاعر مصري (1838-1914) جمع بين الشعر والسياسة، ساهم في بعث الأدب العربي. (1) محمود سامي البارودي: الديوان، دار العودة، بيروت، 1998، ص115-116.

ويقول في قصيدة أخرى[1]:

وبح ر من الهيجاء خ ٥ض ت عبابه ** ولا عاصـ م إلّا الـصّفي ح ال مشطّ ب

تَظَلُّ به حـ٥م ر المنايا وسو دها ** حواسر في ألوانـها تـتقـلّ ب

توسـ طته والخيل بالخيل تـ٥لتقي ** وبي ض الضُّبا فب الهام تبدو وتَ٥غ ر ب

فمـا زلـ ت حتّى بيّن الكرُّ موقفي ** على غيهب من ساطع النّقع غيهب

فالشاعر في فخره بعكس حالته النفسية بصدق دون زيف أو زيادة أو تمثيل فقد عاش مترفعا عن أمور الدنيا الزائلة، سائرا في دروب الحياة بعزيمة قويّة ومضاء شديد وهمّة عالية، يقف مع الحقّ أين وجده ولا يخاف فيه لومة لائم، إضافة إلى كلّ هذا فقد كان في الحروب مقداما وشجاعا والأبيات السابقة تعكس كلّ ما قلناه، يقول في قصيدة "في سرنديب[*]" مصوّرا حالته النفسية من فشل الثورة العرابية[2].

عليَ بطلا ب الع ز مـن مستق ر بـه ** ولا ذَنبَ لى إن عارَضتنى المقادـ ر

فماذا عَسى الأعدا ء أن يتقوَّلوا ** علىَّ، وعرضي نا ـص ح الجي ـب وافـ ر؟

مَلَ٥ت عقَابَ ا٥ل م٥ل ـك وَ٥هيَ كَ ـسيرَة ** وغادرتـها في وَكـرها وهيّ طائـ ر

ولـو رم ت ما ارمَ امر ؤ بـخيان ـة ** لَصبَّحـني ـق ٥سط ـمنَ ا٥لمال غَا ـمـ ر

ول ـك ٥نَ أَبَ ٥ت نَ٥ف ـسي ا٥لكَ ـريمَة سَ٥وأَة ** تـعا ب ـبهَا، والدَّ ٥ه ر ـفي ـه ا٥لمـعَاي ر

ولـَو أنَّ أسبابَ ال ـسياد ـة بالغنى ** لكاثرَ ربَّ الفضـل بالما ـل تـاج ر

فلا غَروَ أن حز ت المكا ـرمَ عا ـريا ** فَقَ٥د يَ ٥شةَ د السَّ٥ي ف ا٥لوَغَى وَ٥هوَ حا ـس ر

ففي هذه الأبيات يَرُد على الشامتين به وطبعا هذه سُنّة الحياة مفتخرا بشرفه العظيم الذي لا يدنسه شيء لأنّه يؤمن أن الدنيا لا تسير على حالة واحدة، لأنّ إيمانه بالله يبدّد اليأس الذي قد يصل إليه خاصة وهو حين نظّم هذه القصيدة، كان في المنفى، ولذلك وجدنا أنّ البارودي كان دائما ما يمزج أغراضه الشعرية بالحكمة، التي هي ظالة المؤمن، فالغنى حسب رأيه ليس غنى المال والّا لفاق التجار بأموالهم ذوي الفضل في الشرف والمكانة كما أنّ الفقر لا يدنّس العرض، والمال لا يعوّض الشرف المسلوب.

---

[1] محمود سامي البارودي: الديوان، ص56-57.

[*] سرنديب: هي إحدى جزر الهند، نُفي إليها البارودي بعد فشل الثورة العرابية التي انضم إليها. [2] محمود سامي البارودي: الديوان، ص241-242.

ولا يجدي السيف نفعا ترصيعه بالحلي والذهب، إذا كان حدّه غير قاطع ولا بتّار.

2- الغزل والحب: إضافة إلى الفخر والحماسة، فإنّ القارئ لديوان البارودي يجده حافلا بقصائد الحب والغزل، إذ كان قلبه دائما يشكو تباريح الهوى والغرام، يحكي آلامه وامانيه وملذاته ووساوسه، يكابد الهوى مع بعض الفاتنات، إذ يكاد قلبه ينفطر من الأسى والحزن ومن اليأس والقنوط شأنه في ذلك شأن شعراء الغزل قديما خاصة العذريين منهم، إذ لم يكن فاحشا في قوله، بل عفيفا، لطيفا، طريفا.

يقول في إحدى قصائده[1]:

ظَبْيٌ اْلوَ ْج د عَ لَ ْي ِه، فَبَـكَى ** وَتَوَلَّى الـصَّ ْب ر عَ ْنه، فَشَكَا

وَنَمَى نَظرة يَش ِفي ِبـها ** ِعلَّة الشو ِق، فكانَت مَهلَكا

يَا لَهَا ِم ْن نَ ْظرَة! مَا قَارَبَ ْت ** مَ ْه ِبطَ اْل ِح ْكمَ ِة حَتَّى اْنهَتَكَا

ثُمَّ ضَمَّ عَليهـا هدبَه ** ثُمَّ أَ ْغرَاهَا، فَكَانَ ْت شَرَكَا

فَرَسَ ْت ِفي اْلقَ ْل ِب ِم ني حبَّه ** وسَقتـه أد ِمعي حَتَّى زَكَا

يـا غَ ازلا" نصبت أهدابه ** ِبيَ ِد ال سـ ْح ِر لِ ْضَ مي شَبَـكَا

فالشاعر في هذه المقطوعة يعاني كما عانى شعراء الغزل قديما قبله فيبني أبياته كلّها على أمنية واحدة ووحيدة، تساعده في مقاونة الوجد الذي أل م به، إنّها أمنية الفوز بنظرة واحدة للمحبوب علّه يشفى من مرض الشوق الذي شدّ الطوق حوله، ولم يستطع الفكاك منه، وا ْن كانت هذه النظرة في الواقع نظرة عند العاشقين واستنبطن معها ما يترتب عنها من مهالك ومواجيد ربّما سيجدّ لذّة في هذه المعاناة. وهذا هو دأب الشعراء المحبّين.

ويقول في مقام آخر دائما في الغزل[2]:

يَا مَ ْن أَرَى الشَّادنَ ِفي ِس ْر ِبه ** يَ ِتيه ِبا ْل حـ ْسـ ِن عَ لَـى ِتـ ْر ِبه

أَ ْرسَـلَ فَ ْرعَ ْي ِه لِ ْكي يَ ْعبَثَا ** ِبأَ ْكرَتَ ْي نَ ْه َدي ِه ِمـ ْن ع ْج ِبه

أَ ْحـتَ ِم ل اْلمَ ْك روءَ ِم ْن أَ ْجل ِه ** وَأَ ْبـ ذ ل اْلمَالَ عَ لَـى حـ ِبه

قَـ ْد لامَ ِني اْلعَاذ ل فيه ولَ ْو ** أَرَى اْل هدَى أَ ْقصَرَ عَ ْن عَتْ ِبه

وَهَ ْل ِي ِطي ق اْلمَ ْرء سَتْرَ اْلهَوَى ** ِم ْن بَ ْعد ما ا ْستَ ْولَى عَلَى ل ِبه

---

[1] محمود سامي البارودي: الديوان، ص392.

[2] المصدر نفسه، ص88-89.

لا ســامَحَ ال عيونَ ا°لمَهَا ** فَـ هنَّ عَـو ن الدَّ °هر .في حَ °ر.ب.ه

فالشاعر وان كان هنا لا يتغزل بمحبوبة معينة باسمها، وانّما يصف للقارئ ما تجيش به من حب للجمال الفاتن، الذي يجب أن يعيشه كلّ شاب في مرحلة الفتوة، ويحس به - الجمال- إحساس العاشق الولهان، لقد كان البارودي في غزله عفيفا راقيا، بعيدا عن الفحش موظفا ألفاظ العذريين الذين دأبوا على استعمالها لإنتاج حقول دلالية تكرس رقة الشعور وطهارة النفس، ومثال ذلك الألفاظ المستقاة من هذه المقطوعة (الشادن، السرب، نهديه، العاذل، الهوى، لبّه عيون المها...). فكلّها ألفاظ وجدانها مبثوثة في أشعار القدماء مع تسجيل ملاحظة وهي أن الحبّ الملتهب والهوى المعذّب ظلّ يعصف به ولا يبرح مخيلته حتّى حين تقدمت به السنّ في المنفى، وأخذ ينحدر إلى خريف حياته واستمر يحن ويتشوق وج"دا إلى حبه القديم، حتى ليقول في قصيدة وقد ناهز السابعة والخمسين[1]:

ولولا ما حلّ الهوى ق°يد مدمعي ** ولا شبّ ني ارن اللّواعج في صدري

وأيُّ أمري «ء يقوى على ر د لوع «ة ** إذا التهب °ت أ°ربت على وهج الجَ °مر

3- الوصف والطبيعة: لقد زخر ديوان البارودي بأشعار كثيرة في وصف الطبيعة المتحركة والساكنة على حد سواء، كان في ذلك مقلدا للقدماء ومحاكيا لأوصافهم، لقد وصف الأسد والحية والناقة والفرس والغيث والسّحاب وكلّ ما تقع عليه عينه من مباهج الدنيا وجمالها، يقول واصفا طبيعة وطنه التي انبهر بها[2]:

عَ الحيا واستنّت الجداو ل ** وفاضـ °ت الغد ار ن والمناه ل

ﷲ بنــورها الخمائ ل ** وغـرّدت في أ°يكها البلاب ل

وجبــه ة الج و غما م حاف ل ** وبيــن هذين نسي م جائ ل

تَ°ندى به الأ °سحا ر والأصائ ل ** كـأنّما النبا ت بح ر هائ ل

ولــيس إلّا الأكما ت ساح ل ** وشام خ الدّوج سفين حاف ل

---

[1] نجيب البعيني: موسوعة الشعراء العرب المعاصرين، دراسات ومختارات، دار المناهل للطباعة والنشر والتوزيع، بيروت، لبنان، ط1، 2113، ص19.

[2] محمود سامي البارودي: الديوان، ص488-489.

إنّه في هذه المقطوعة يفيض على الطبيعة من روحه الطامحة والطافحة للحياة ترى الجمال في الجداول الرقراقة والغدران الفياضّة والخمائل المنيرة وتغريد البلابل على الأيك المتفرع باختصار هي الحياة التي يجب أن نعيشها ونحياها ونحبّها، ونستنشق عبيرها، وكأنّي به لا يريد أن يفوّت على نفسه فرصة من فرص الحياة الناعمة الحيّة، إنّه يتعمق في تأمل الطبيعة ويشعر بجمالها شعورا بالغا.

وكان في وصفه يعارض الشعراء الجاهليين والمخضرمين، فيأتي شعره مثل نظمهم متانة وقوة وسموا، ومثال هذا معارضته لدلية النابغة الذبياني في وصف الفرس إذ يقول[1]:

ولقد هبط ت الغيثَ يلمع نوره ** فـــي ك ل وضًّا ,ح الأَسرَّة أغيد
تجرى ب ـه الآ ار م بينَ منـاه„ل ** طَـــابَ ◦ت مَوَار دهَا، وَ ـظ ل أَبرَد
بمضمَّر أر „ن وعمّ ثـــلاثة ** منه البياض إلـــى وظيف أجرد
فكأنّما انتزعَ الأصـيلَ رداءه ** سَلَبا"، وَخَاضَ ـمنَ الضُّحَى في مَ ◦و ـر ـد
صل ب السناب ـك لا يم ر بجلم„د ** فـــي الشَّ د إلَّا رضَّ في ـه بجلم ـد
ا◦لعَتَا د إذَا ال شفَاه تَقَلَّصَ ◦ت ** يومَ الكريـــهة في العجا ,ج الأرب ـد

فوصفه في هذه الأبيات، لم يشذ عما ألفه شعراء الجاهلية في وصفهم للفرس وتباهيهم له، سواء في أيام السلم أو أيّام الحرب، حيث جعل القارئ لشعره يعود بخياله إلى العصر الجاهلي.

ويبدو لي أن البارودي لم يترك أيّ شيء وقع عليه بناظريه إلّا ووصفه وكأنّه أراد أن يسجل لنا كلّ ما يسرى في هذا الكون سواء أكان جامدا ساكنا أم متحركا.

4- شعر الخمريات: كان لوصف الخمرة نصيب في شعر محمود سامي البارودي، شأنه في ذلك شأن الشعراء القدماء، الذين تغنوا بالخمرة ووصفوها وأشاروا إلى مفعولها ونشوتها التي تتحقق بشربها، وهكذا تكون الخمرة شيئا نفيسا ومهما عند المتاعبين[2].

---

[1] محمود سامي البارودي: الديوان، ص131.

[2] ينظر، موهوب مصطفاي: المثالية في الشعر العربي، ديوان المطبوعات الجامعية، 1982، ص363.

لذلك وجدنا ديوانه يكتظ بوصف كثير للخمرة، يأتي به أحيانا في ثنايا قصائده ويختلط بذلك ببعض الأغراض الأخرى، وأحيانا يفرد لها قصائد مستقلة بها لوحدها، يقول في إحدى قصائده[1]:

أ.در الكـــــأس يا ندي م وها .ت ** واسقنيها على جــبين الغداة

شاق سمعي الغناء في رونق الفجـ ** ر وسجع الطـيور في العذبات

أيّ شيء أشهى إلى النّفس من كأ ** س مـــدار على بساط بنات

فامتثل دعوة الصـــبوح وباد.ر ** فرصة الدّهر قبل وشك الفوات

"نـدمان" كالكواكب حســـنا ** ورعـــابيب كالدُّمى خف ارت

يتساقون بالكؤوس مـــــداما ** هي كـالشّ .مس في قميص إياة

في أباريق كالطّيور اشـــ أربت ** حــذر الفتك من صياح الب ازة

يصف البارودي حين يتحدث عن الخمرة دنانها ومجالسها وندمانها وكؤوسها وسقاتها، كما يتحدث كثيرا عن عتقها وقدمها، وما تسكبه في النفوس من لذّة غامرة، وبوصفه للخمرة يضع القارئ في جوّها ومحيطها وداخلها، فتحدث حينها لحظة الانتشاء التي طالما يسعى إليها الباحثون عن اللّذة، التي تقتل الهمّ الشديد المثقل لكاهل المرء، وتوهم صاحبها بأنّها تسدّ فراغ حياته الذي يشعر به عند نزول الهمّ، لذلك صيّرها البارودي معنى من المعاني المجرّدة التي لا تدرك بالحواس والتي تتحير فيها الأوهام والظنون وقد تصبح بعد ذلك ذات بعد صوفي عرفاني.

5- شعر المدح: حظي المدح عند البارودي بشيء من الاهتمام، شأنه في ذلك شأن الأغراض الشعرية المتنوعة والمألوفة عند فحول الشعراء غير أنّ مدحه لم يكن من أجل التزلف إلى الحكام أو التملق للزعماء أو التكسب به كما جرت عادة بعض الشعراء، فقد هنّأ توفيق باشا حين جلس على كرسي الحكم في مصر، متمنيا له تحقيق مبدأي العدل والشورى ومتابعة الإصلاح من أجل صلاح الأمة فيقول[2]:

---

[1] محمود سامي البارودي: الديوان، ص91-92. [2] المصدر نفسه، ص121.

سنَّ المشورةَ، وهى أكر م خطَّ „ة ** يـجرى عليها كل ار „ع مرش.د
قَــمَ .ن ا ◦ستَعَانَ .بِهَا تَأَيَّدَ م◦ل ك ه ** ومن استهانَ بأمرها لم ير ش.د
أ ◦هار .ن مــا ا ◦جتَمَعَا ل.قَا.ئ.د أمَّ „ة ** إلَّا جـنى بهما ثمارَ السؤد.د
خ ◦مع يَ كو ن الأ ◦مـ ر .فيمَا بَ◦ينَ ه ◦م ** شورى، وجـن د للعدو بمرص.د
فلأنتَ أوّلَ من أفـادَ بعدل .ه ** ح ريَّة الأ ◦خـــلَا .ق بَ ◦عدَ تَعَبُّ.د
أ ◦طَا◦لَ كلَّ مقَيَّ„د، وَحَـلَ◦لتَ كلّ ** معَقَّ„د وَجَمَــ ◦عتَ كلَّ مبَدَّ.د
وتمتَّع ◦ت بالعد.ل منـكَ رعيَّ ة ** كانت فريسة كـ ل با „غ معت.د

فواضح من هذه الأبيات أنّ المدح عند البارودي نابع من إنسان سياسي حكيم، يسعى إلى تحقيق المصلحة العامة، لا مصلحته هو. ينصح الحاكم بإتباع العدل ولا يخاف في الحق لومة لائم، إيمانا منه أن النُ إلى الله. ◦صح للحاكم من أفضل الأعمال التي يتقرب بها الإنسان

6- شعر الرثاء: كان لغرض الرثاء نصيب في شعر البارودي، الذي كرّس حياته لخدمة وطنه وأمّته بصدق، فلم يتخلف عن الأحداث التي كانت تقع، رغم المنفى فقد رثى صديقهُ العالم اللّغوي الشهير أحمد فارس الشدياق، وبكى الشيخ حسين المرصفي ومعه عبد الله فكري ومعهما الاثنان بكى الوطن مصر وكثيرا ما كان يمزج رثاءه برثاء نفسه وشبابه الذي ولّى وصار كما يقول أشلاء همّه إذ يقول[1]:

لم تد ◦ع صول ة الحوادث مــنّي ** غير أشلاء همّه في ثياب
فجعتني بوالديَّ وأهـــــلي ** ثم أ◦نح ◦ت تـكرُّ في أت اربي
كلّ يو„م يزول عنّي حـــبي ب ** يا ق◦لبي من فرقة الأ ◦حباب
أ◦ين منّي حسين؟ بل لأين عبد اللّ ** ه ربُّ الـكمال والآداب
مضَيَا غ◦ير ذكر„ة وبـــقاء الذ ** كر فـخ ر يدوم للأعقاب

ففي رثائه يشير دائما إلى مناقب المرثي وما قدّمه من خير للأمّة، مع التشبث بحبال الحكمة، وهذا دأبه تقريبا في شعره خاصة لمّا تقدكت به السّن، فقد تفاجئ البارودي بموت زوجته وهو في المنفى دائما فأنشد يقول[2]:

[1] محمود سامي البارودي: الديوان، ص68.
[2] المصدر نفسه: ص154.

لا لـوعتي تدع الفؤاد ولا يدي ** يــا دهر تقوى على ردّ الحبيب الغادي كـانت

فيم فجعتني بحليلة **إن كنت لم ترحم خلاصة عدّتي وعتادي أفلا

ضناي لبعدها ** رحمت من الأسى أولادي

أفردتـــــهن فلم ينمن توجعا ** قـرحى العيون رواجف الأكباد

ألقـين درَّ عقودهن و ص غن .م ن ** د ر الــدموع قلائد الأجياد

نقرأ في هذه المقطوعة قدرة الشاعر الفائقة في وصف شعوره إزاء وفاة زوجته وبقائه عاجزا لا يستطيع أن يقدّم لها شيئا، إنّه الإحساس بالعجز والحزن والألم، الذي لا مخرج له منهم إلّا الالتجاء إلى الله فهو نعم الهادي ونعم المعين.

3. مدرسة الإحياء والبعث:

بعد استعراضنا لأهم الأغراض الشعرية التي أسهم فيها البارودي بشعره وذكرنا نماذج كانت غيضا من فيض، اتضح لنا مفهوم مدرسة الإحياء والبعث التي ينتمي إليها شاعرنا. فهي تعني المدرسة التي عادت إليها الروح والحياة بعد أن فارقتها مدّة زمنية ليست بقليلة

(قرابة ستة قرون) فبعثت إلى الدنيا من جديد بقلب نابض وحسّ واع انتصر من خلاله الشعر وارتفع صوت الشعراء وعلى رأسهم محمود سامي البارودي ويتبعه الشاعر اللبناني إبراهيم اليازجي.

ومن خصائص مدرسة الإحياء والبعث ما يأتي:

- جلال القديم وفطرته والروح العربية الخالدة.
- اليقين الكامل باستمرار المجد العربي القديم.
- الإيمان المطلق بأنّ الحاضر سيتبدّد أمام نور الماضي التّليد. - الثقة الكاملة بالتراث العربي والشخصية العربية.

أما خصائصها من الناحية الفنية فقد حصرها النّقاد فيما يأتي: - الصياغة المتقنة.

- محاكاة القدماء ومجاراتهم.
- الاعتراف بالقدماء على أنّهم أنبياء الشعر ومن ثمّ وجب الاقتداء بهم والاستمداد من مناهلهم.
- احترام القيود القديمة من قواعد نحوية وبلاغية وعروضية.
- عدم التعقيد في الأسلوب وتمثل أفكار القدماء وصورهم وعواطفهم.

لكلّ هذه الاعتبارات سمي البارودي بشاعر النهضة قياسا إلى ما يسمى بالفترة المظلمة أو عصر الانحطاط، ولأنّه ارتبط بالقديم ارتباطا احيائيا فيمكن ردّه إلى ثلاثة اعتبارات:

1- الاعتبار القومي: فقد نظر البارودي إلى الشعر العربي على أنّه استعادة للتراث العربي الشعري، الذي يشعر العربي بأنّ له أدبا خاصا يضاهي به أدب الغرب وهو ليس بحاجة إلى هذا الأخير.

2- اعتبار الفصاحة: خاصية عربية، فجاء شعره استعادة للفصاحة العربية بشكلها الكلاسيكي، وأنّ الشعر يقضي على ما سمّته النظرة التقليدية بالركاكة ونعني به الإنتاج الشعري الذي ساد في عصر الضعف والانحطاط.

3- اعتبار المحاكاة: ترى النظرة التقليدية أنّ للشعر خصائص مطلقة لا تتغير وأنّ على الشعراء اللّاحقين التمسّك الكامل بهذه الخصائص كالديباجة وجزالة اللّفظ ومتانة العبارة والعمودية الخليلية، وكان البارودي نموذجا محاكيا لهذه الخصائص.

ومثل هذا العمل لشاعر في بداية النهضة، يعدّ عملا تأسيسيا لمرحلة جديدة من مراحل تاريخ الشعر العربي، فإشكالية الإحياء لدى البارودي هي ضرورة الاحتماء من الماضي الشعري وحاضره بإيجاد نمط من الشعر يحفظ قوام القصيدة العربية ويعلو بالمستوى المتدني للشعر الحاضر في عصره، والإشكالية الثانية هي كيفية الاحتماء من التأثير الأوروبي المحتمل للشعر العربي مستقبلا وقد وجد أن ذلك ممكنا من خلال إرساء قواعد قصيدة تماثل في نسقها القصيدة العمودية.

ومن أجل تحقيق كلّ هذا فقد آمن بضرورة الثورة، فكان أن شارك في الثورة الأولى - العرابية- وقد انهزم فيها وانتهى إلى المنفى، وأمّا الثورة الثانية في الشعر فقد قادته إلى عالم البقاء والخلود.

قال عنه أحد الدّراسين: "هبّ في تلك المرحلة شاعر موهوب راح يبعث شعرنا العربي ويرد إليه الحياة... ذلك هو الشاعر الثائر محمود سامي البارودي الذي نفر ممّا كان به سابقوه ومعاصروه من أحداث الشعر المكفن بالمطرزات والمزوقات وأكب على الشعر القديم يقرأه ويتمثله ثم ينسج عاى منواله... فكانت حركة البارودي بعث حقيقي لشعرنا القديم"[1].

[1] نسيب نشاوي: مدخل إلى المدارس الأدبية، دمشق، 1981، ص62.